المضامين التربوية ودورها في بناء المجتمع المسلم من خلال سورة لقمان

أ. مجد أحمد مُحَمَّد صباغ

أ.د. مُحَمَّد يعقوب ذو الكفل، د. أحمد يوسف، د. مُحَمَّد أزرين

أكاديمية الدراسات الإسلامية، قسم التربية، جامعة ملايا

Educational concepts and their role in building the Muslim society through Surat Luqman

Mr. Majd Ahmed Mohammed Sabbagh

Prof. Mohammad Yaqoub Thulkifl

Dr. Ahmed Yusuf

Dr. Mohammed Azrin

Department of Education, Academy of Islamic Studies, University of Malaya

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أهم الآثار التربوية المستفادة من سورة لقمان وتوظيفها واقعا. لترقية سلوكيات المجتمع المسلم وصولاً إلى عملية بناء شامل وتام من خلال أهداف وأساليب التربية المستنبطة من سورة لقمان في الجانب الاجتماعي، وأتبع الباحثون المنهج الوصفي التحليلي وقد خرجت الدراسة بعدد من النتائج أبرزها: إثبات أن أي دراسة مرتبطة بالتربية الاجتماعية لا بد أن تعتمد اعتماداً مباشراً على القرآن الكريم عموما، فمنه يتم استقاء مضامينها ومناقشتها، وإمكانية تطبيقها وفق منظومة من الركائز والضوابط والمبادئ الشرعية. وقد أوصت الدراسة بضرورة تشجيع البحوث التربوية التي تتناول سور وآيات القرآن الكريم بالبحث والتحليل والعمل على نشرها ليعم نفعها.

Abstract: This article aims to get to know the educational concepts and their role in building the Muslim society through Surat Luqman, and employing these concepts in reality. This is so to promote the behaviors of the Muslim society to reach an optimal status through the objectives and methods inferred from Surat Luqman in the sociological aspect. The study employs the descriptive and analytical approach. It concludes with a number of findings, the most important of which are: confirming that any study related to sociological education should be based on the Holy Qur'an, from which the concepts can be elicited and the possibility of applying them according to a number of pillars, restrictions and principles of Sharia. The study also recommends that educational researches addressing the educational aspects in the Holy Qur'an should be encouraged and published to benefit from such

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، لقمان، التربية، الأخلاق، المجتمع المسلم.

studies.

Keywords: The Holy Qur'an, Luqman, education, morals, Muslim society

المقدمة:

الحمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد:

يعد القرآن هو المصدر الأول للتربية الإسلامية إن طبقت وسائله التربوية وعمل بمضامين آياته، فهو سبب في تميز الأمة، وأصبح لدى الأمة السيادة والريادة على جميع الأمم والشعوب. وكون القرآن الكريم أهم مصادر التربية وجب العودة إليه، والغوص فيه، واستخراج المضامين التربوية، وتحليلها، وتطبيقها. وتكمن أهمية هذه الدارسة في أنها تعمل على توظيف المضامين التربوية الاجتماعية المستنبطة من القصص القرآني، وذلك بوضعها في تصور مقترح لتدريسها في إطار منهج التربية الإسلامية مما يزيد من مردود هذه الدراسة وفائدتها وجدواها العلمي، وقد خاطب الله الناس في القرآن كلٌ على قدر مداركه، ونوع في الأساليب التي تجذبهم، والوسائل التي تحرك مشاعرهم، فسلك أساليب متنوعة لتحقيق أهدافه التربوية، وما هذه الدراسة لسورة لقمان إلا أحد أبرز تلك المضامين التربوية والأساليب التي استعملها القرآن الكريم لغرس القيم التربوية في الأجيال، وقد ظل القرآن وسيظل أبد الدهر قبلة للباحثين عن الوسائل والطرق لغرس القيم التربوية، والرقي بهذه الأمة؛ كون الأمة الإسلامية اليوم في أشد الحاجة إلى تلمس بناء تربوي يستند على أهداف قوية تعيد القيم التربوية الإسلامية إلى مسارها الصحيح الذي أراده الله ﷻ لعباده، وذلك بإجراء المزيد من الدراسات في مجال التربية والقيم التربوية المستنبطة من القرآن الكريم وربطها بالواقع والمناهج الدراسية، لا سيما في هذه الظروف التي تتعرض فيها الأمة الإسلامية لحملة صليبية لطمس الدين والأخلاق والقيم من نفوس شباب الأمة الإسلامية.

مشكلة الدراسة:

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر العلم والمعرفة والأغنى بالمبادئ والقيم والأساليب التربوية، والقرآن الكريم دستور هذه الأمة ومنبع أصالتها، وذخر حاضرها ومستقبلها، فيه من العلم والمعرفة، والقواعد الأخلاقية، والأصول التربوية والتشريعية، ما يجعلنا نعتز به، ونستغني به عن النظريات، البشرية القاصرة. وينبغي أن ينال منا ما يستحق من الدراسة والعناية والبحث والجهد، فهو سبيل النجاة للبشرية اليوم مما تعاني منه الأمة من الأزمات والفتن المتلاطمة، التي أخلت بالجانب العقدي، فأصبح

الفرد لدية جانب من القيم والأخلاق، إلا أن لديه ضعف ملحوظ في الجانب العقدي والتعبدي، وقد تجد من لديه اهتمام بالجانب العقدي والتعبدي إلا أنك قد تجد عنده خلل كبير في الجانب الأخلاقي والسلوكي مع الوالدين والمجتمع من حوله، فنلاحظ أن لدينا مشكلة في المجتمع العربي والإسلامي من جرّاء ذلك التناقض العلمي والعملي، وكل ذلك يوجب عودة إلى كتاب الله العزيز، وما فيه من مضامين تربوية كالقيم والمبادئ والأهداف والطرائق والأسباب، وهي ما يمكن أن ينهل منها المتخصصون بعد القراءة والتدبر والتأمل، ويقدموها بأسلوب سهل ميسر يساعد على تطبيقها في شتى مجالات الحياة وجوانبها، وهذا ما دفعنا إلى التأمل والتدبر في كتاب الله العزيز، وإلى سورة لقمان بالخصوص، كي تلقي الضوء على بعض ما فيها من مضامين تربوية متعلقة بالحياة الاجتماعية، وتطبيقاتها في الواقع المعاصر علّ الله ينفع بها المجتمع العربي والإسلامي.

تساؤلات الدراسة:

تتمحور الدراسة حول الإجابة على السؤال التالي:

- ما هي المضامين التربوية الاجتماعية التي اشتملت عليها سورة لقمان في بناء المجتمع المسلم وتحصينه؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة للإجابة عن سؤال الدراسة والتي تحقق منه الهدف التالي:

- التعرف على أهم الآثار التربوية المستفادة من سورة لقمان وتوظيفها واقعا. لترقية سلوكيات المجتمع المسلم وصولاً إلى عملية بناء شامل وتام من خلال أهداف وأساليب التربية المستنبطة من سورة لقمان في الجانب الاجتماعي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في نقاط، منها:

١. أنزل الله ﷻ القرآن منهجاً للتغيير الإيجابي، وترسيخاً للمبادئ والقيم التربوية، وسورة لقمان هي إحدى هذه السور التي احتوت على الكثير من المضامين والقيم التربوية في جوانب عدة ومنها فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي.

٢. تنبثق أهمية الدراسة بأنها تتعلق بسورة من سور القرآن الكريم الذي جعله الله هدى للناس ونوراً لكل شيء وسورة لقمان تضمنت مضامين تربوية هامة لو طبقت في الواقع لحققت سعادة الدارين للفرد والمجتمع؛ كونه منزلٌ من الخالق سبحانه لهذا الانسان، العليم بطبيعته وتكوينه، الخبير بدروب نفسه ومنحنياتها، فبين دور المعلم والمتعلم والمنهج.

٣. تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية كتاب الله العزيز، ومن أهمية هذه السورة العزيزة، سورة لقمان لما فيها من المضامين التربوية التي لا يمكن أن يلم بها باحث ومن كونها تعطي دروساً وتوجيهات تعالج ما يواجهه الشباب من الفتن والمغريات، وما يواجهونه من مصاعب وشدائد.

منهج الدراسة:

بعد الطلاع على دراسات سابقة وكذلك على تعريف تم اتباع عدد من المناهج بما يلائم طبيعة هذه الدراسة ويضمن الخروج بنتائج علمه واضحة وبرامج تطبيقية مقترحة تخدم أهداف الدراسة وتعمل على تحقيقها اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وهو منهج يقوم فيه الباحث بالتأني والتدقيق بموضوع مشكلة الدراسة ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج ما يتصل بمشكلة الدراسة من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة الدراسة) ولعل هذا المنهج يكون أكثر اتساقاً في استنباط المضامين التربوية من سورة لقمان ، وتوضح كيف يستفيد منها الفرد والمدرسة والمجتمع في التعامل اليومي.

وكذلك استخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي: وهو الذي يقوم فيه الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة. واختيار هذا المنهج يفيد في إبراز مضامين تربوية من سورة لقمان، وذلك بدراسة تفسير الآيات ودراسة أقوال العلماء فيها للتعرف على دلالاتها وجوانبها المختلفة، وكيف تستفيد المؤسسات التربوية؟ مؤيداً ذلك بالأدلة التفصيلية من الكتاب والسنة، واستخدامه في المضامين التربوية المتضمنة في السورة، واستنباط آثارها التربوية الناجمة عن هذه المضامين وتطبيقها استناداً إلى العديد من كتب تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وشرحها وتنظيمها، وتبويبها حسب المحاور الرئيسة التي احتوت عليها السورة الكريمة.

الدراسات السابقة:

دراسة العمريطي، إيمان إبراهيم مُحَمَّد (١٤٢٣ هـ)، بعنوان: **المضامين التربوية المستنبطة من سورة الشرح وتطبيقاتها التربوية**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة. تكلم فيها الباحث عما تضمنته سورة الشرح من توجهات تربوية، وأوضح فيها أن لسورة الشرح أهمية كبيرة في تربية النفس وتسليتها وتأكيد أن اليسر مصاحباً للعسر. كما أبان أهمية العقيدة وتعميق الصلة بالله عز وجل في انشراح الصدر والقدرة على مواجهة العسر والابتلاءات والصبر عليها. وخلص فيها إلى أن الاهتمام بتلبية حاجات الأبناء وتربيتهم على الأخلاق الحسنة وشغل أوقات فراغهم بما يفيد من أهم الأمور التي تجنب الأبناء الشعور بالضيق والهم والحزن، وخرج ببعض التوصيات منها: وجوب العمل على زيادة المناهج التي تؤصل العقيدة الإسلامية تأصيلاً صحيحاً، والعمل

على دمج المناهج الدينية والعلمية. ووجوب العمل على إعادة الدور التربوي للمسجد وتوعية أئمة المساجد بدورهم التربوي. وأن على الأسرة والمدرسة والمجتمع أن يقوموا بدورهم التربوي في تلبية حاجات الأبناء وتربيتهم على العقيدة الصحيحة وتعميق الصلة بالله عز وجل.

ودراسة مُحَمَّد، مُحَمَّد عمر سعد (١٤٢١ هـ) ، بعنوان: **القيم التربوية في سورة النور**. استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستنباطي والمنهج التاريخي. **كذلك جاء الباحث على أهم المضامين التربوية التي شملتها سورة النور**، وأكد على الاهتمام بالممارسة التربوية وتفعيلها لتشمل كافة جوانب الحياة على هدى الإسلام، وممارسة الإيمان بالله في جميع مجالات الحياة قيمة مستدامة، واستنتج أن غياب القيم التربوية يؤدى إلى انحلال المجتمع، وسورة النور كشفت الكثير من المواقف على رأسها السلوك الإنساني. خلص بتوصيات من أهمها: ما على المؤسسات التربوية من القيام بدورها في مجال التربية، وضرورة تطوير المناهج التربوية التي تلبي حاجات المجتمع الحديث، والبحث في سور القرآن بما تشتمل عليه من قيم، واستخدام وسائل تقنية الاتصال الحديثة للتأثير على الجوانب الثقافية والاجتماعية لتأصيل الفكر التربوي الإسلامي.

أوجه الشبه والاختلاف بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية، ومدى الاستفادة منها:

تتقارب الدراسة مع مواضيع الدراسات السابقة من حيث المصطلحات الواردة في موضوع أغلب الدراسات. كما أن أغلب الدراسات السابقة استخدمت المنهج الاستنباطي والذي استخدمته الباحثة في هذه الدراسة مع المنهج الوصفي التحليلي. أما أوجه الخلاف: لا توجد أي دراسة من الدراسات السابقة يتطابق موضوعها مع الدراسة الحالية تطابقاً تاماً من حيث المصطلحات الواردة في موضوع الدراسة. كما لا توجد أي دراسة من الدراسات السابقة لها نفس الهدف الوارد في الدراسة الحالية، بل ركز بعضها على التفسير، والبعض الآخر ركز على الجانب العقدي والتعبدي والاجتماعي، ومنها من تكلم عن المضامين بشكل عام، والبعض جعل أهدافه معالم تربوية، أما هدف الدراسة الحالية فجعل المضامين التربوية شاملة وخص منها الجانب الأخلاقي. وقد استفادت الباحثة من الدراسات السابقة، من حيث اختيار الباحثة لموضوع دراستها كان من التوصيات التي أوصت بها الدراسات السابقة، حيث أن أغلبها أوصى بدراسة سور القرآن التي لم تدرس من الناحية التربوية، وأوصى البعض منها بالتوسع في دراسة بعض السور التي لم يتم دراستها بشكل كاف. وقد تميزت الدراسة عما قبلها: أنها تفردت بدراسة هذه السورة التي لم تُدرس من الناحية التربوية من قبل. وأن هذه الدراسة التزمت بمنهج البحث العلمي من وجهة نظر الباحثة، مع أن بعض من الدراسات السابقة لم تلتزم بذلك.

حدود الدراسة الموضوعية:

يتمثل الحد الموضوعي للدراسة بسورة لقمان في القرآن الكريم؛ والتي اتخذتها الباحثة موضوعاً للدراسة يعمل على تشخيص واستنباط ما أمكن من مضامين تربوية بغية توظيفها في برنامج عملي لبناء المجتمع المسلم وتحصينه.

مبحث: سورة لقمان والمضامين التربوية المتعلقة بالجانب الاجتماعي:

المطلب الأول: مفهوم التربية الاجتماعية وأهميتها:

التربية الاجتماعية تبدأ مع الإنسان منذ أن يكون جنيناً إلى أن يموت. فالإنسان يكتسب الوجود بتأثير من والديه، ثمّ يتأثّر بسلوكيات أخوته وأقربائه وجيرانه وأصدقائه، ثمّ يدخل في خضم المجتمع؛ فيتأثّر بالمدرسة، والمعلّم، وسائر أعضاء المجتمع؛ بحسب درجة ارتباطه بهم. فجميع الأعمال والسلوكيّات التي تصدر منّا في مراحل الصغر والصبا، وحتى مرحلة الشباب والكبر أيضاً برغم ما لنا من استقلال في الفكر والإرادة والعمل؛ تتأثّر لا محالة بالمجتمع والحياة الاجتماعيّة. والإنسان بهدف تلبية حاجته الأساسيّة والضرورية مضطرّ إلى الحياة ضمن المجتمع، كما وأنّ كثيراً من أبعاد الإنسان الوجودية لن تزدهر إلّا في ظلّ هذه الحياة الاجتماعيّة. يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته: " إن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في الاصطلاح وهو معنى العمران"[(١)]. فالإنسان يعيش في جماعة يأخذ منهم العادات والتقاليد، ويستفيد من خبراتهم في الحياة، كما أنه يتعاون معهم في تحقيق مصالحهم المشتركة، التي تعينه على تحصيل قوت يومه وغذاء فكره ومساعدته على مواجهة صعوبات الحياة، كما أنه يشاركهم في الافراح والأحزان، لذلك لا بد أن يكون الإنسان مهيأ للتعايش السليم مع مجتمعه، تعايشاً خالياً من التعقيد والاضطراب النفسي، أو العزلة والانطواء، أو التمرد والنقمة على المجتمع، وهذا الذي اهتمت به التربية الإسلامية منذ بزوغ نور الوحي، وحتى ترسي قواعد النظام الإسلامي وإنشاء الدولة الإسلامية.

أولاً: مفهوم التربية الاجتماعية:

المفهوم الاصطلاحي للتربية الاجتماعية هي: " التربية التي تساعد على إعداد الأفراد ليستطيعوا المساهمة في نشاط المجتمع مساهمة فعالة"[(٢)]. وقيل: " نمو الخبرات الاجتماعية، والتعايش مع الجماعة، ومعرفة قواعد وعادات الجماعة، ما تحرمه وما تستحبه، وما توجبه على أفرادها، وأساليب السلوك والمجتمع"[(٣)]. وقيل: نمو التصورات الاجتماعية والأفكار والأهداف المشتركة التي تنعكس في نفوس الأفراد

نتيجة المشاركة في المناسبات الاجتماعية، كالأعياد والعبادات، ومظاهر الحياة بمختلف جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والحربية"[٤].

ثانياً: أهمية التربية الاجتماعية:

لا شك أن مسؤولية التربية الاجتماعية من أهم المسؤوليات في إعداد الولد لدى المربين والآباء، بل هي حصيلة كل جانب من جوانب التربية، سواء كان ذلك الجانب إيماني أو تعبدي أو عملي أو عقلي أو خلقي أو اجتماعي أو اقتصادي، لكونها الظاهرة السلوكية والوجدانية، التي تربي الولد على أداء الحقوق، والتزام الآداب، والرقابة، الاجتماعية، والاتزان العقلي، وحسن السياسة والتعامل مع الآخرين.

ومن الثابت تجربة وواقعاً؛ أن سلامة المجتمع وقوة بنيانه وتماسكه مرتبطان بسلامة أفراده وإعدادهم، ومن هنا كانت عناية الإسلام بتربية الأولاد اجتماعياً وسلوكياً، وأن الباحث المطلع على نصوص هذا الدين الحنيف من قرآن كريم وحديث شريف ليدهش من غزارتها واستيعابها وشمولها ودقتها، إذ لم تدع جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية إلا تناولته، وقالت كلمتها فيها.

ومما يبرز لنا أهمية التربية الاجتماعية أهمية الحياة الاجتماعية للفرد، ويتجلى ذلك فيما يلي:

١) تحقيق كثير من حاجات الإنسان الأولية التي لا تتم إلا بتعاون اجتماعي لتوفير الغذاء والمأوى.

٢) إشباع رغبات الفرد بالراحة والفرح والسعادة، التي لا تكون إلا في روح جماعية، كالأعياد والأفراح والمناسبات.

٣) سعادة تكوين الأصدقاء واللقاء بهم، وعمليات تحديد الصداقة، وإبداء أرائه وأفكاره عم طريق السماع والمحادثة مع الآخرين.

٤) تعلم مهارات وخبرات وتجارب سلوكية عن طريق لقاء الآخرين اقتداءً وتقليداً، وايحاءً ومناقشة.

٥) المساعدة في معرفة الإنسان نفسه عن طريق الاختلاط بغيره مقارنةً وتجاوباً.

٦) معاونة الآخرين له عن طريق حل مشكلاته بالمشورة والمعونة.

٧) الشعور بالعزة والقوة عندما يدرك الفرد أنه مندمج وضمن جماعة من الناس.

٨) طمأنينة الفرد بالأمن النفسي نتيجة للأمن الجماعي الذي يحميه ويدافع عنه، واكتساب الإنسان القيمة الروحية والخلقية عن طريق الجماعة ومؤسساتها المختلفة [٥].

هذا من أهمية وجود الحياة الاجتماعية للفرد، فهو لا يستطيع أن يعش بدون مجتمع، فإذا لم يكن معد بتربية اجتماعية سليمة كان من الصعب التعايش مع هذا المجتمع، وبالتالي لا يستطيع تحقيق هذه الحاجات فتفوته بذلك كثير من الفرص، وتصبح حياته خالية من السعادة والألفة.

كما أن عدم تهيئته للتعايش مع مجتمعه بسلام ومحبه سوف يولد لديه ردت فعل خطيرة، فقد يصاب الأمراض النفسية مثل الانطواء والتعقيد، أو قد تتحول ردة الفعل إلى الانتقام والسخط على مجتمعه، فقد يتحول إلى مجرم خطير، أو إرهابي متطرف خارج عن جماعة المسلمين، وهذا ما يبرز أهمية الاجتماعية السلمية وأنها من الضروريات التي يجب التركيز عليها.

فعلي المربين أن يشمروا عن ساعد الجد والعزيمة، ليقوموا بمسؤوليتهم الكبرى في التربية الاجتماعية على وجهها الصحيح، عسى أن يساهوا في بناء مجتمع إسلامي أفضل تقوم ركائزه على الإيمان والأخلاق والتربية الاجتماعية الفاضلة، والقيم الإسلامية الرفيعة.

ثالثاً: الحياة الاجتماعية في الإسلام:

إنّ من صِفات الإسلام ومزاياه التي لا تنقضي؛ شموليته وصلاحه لكلّ زمانٍ ومكان، فنُصوص الدين ومصادره الأصيلة من الكتاب والسُنّة تتسع لتشمل كافّة مناحي الحياة.

وضع الإسلام مبادئ العلاقات الاجتماعية على أسس ثلاثة: عبادة الله وحده لا شريك له والخوف منه سبحانه، وتوثيق العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة والمجتمع بدءا من الجار وانتهاء بابن السبيل، والسخاء في الإنفاق والبذل في المعروف ومقاومة الشح والرياء والبخل لأنه رذيلة وتدنيس للمروءة والكرامة. قال الله ﷻ مبينا هذه الأسس أو الأطر ومبادئ الحياة الاجتماعية في الإسلام:﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**﴾.(النساء: ٣٦).

أرشد الله ﷻ الناس جميعا في المجتمع إلى بعض خصال الخير والإحسان:

أولها: عبادة الله وحده دون إشراك أحد معه، والعبادة: هي الخضوع التام لله، مع إشعار القلب بتعظيم الله وإجلاله في السر والعلن، والخشية منه وحده، وتكون عبادة الله بفعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه، سواء في الشؤون القلبية كالحسد والحقد، أو في ممارسة الأعضاء بعض الأفعال، والأمر أولا بعبادة الله لأنها مصدر الإلهام بكل خير وترك كل شر، والإقدام على الفضائل.

الثاني: الإحسان إلى الوالدين وبرهما أي طاعتهما في معروف، والقيام بخدمتهما، وتحقيق مطالبهما، والبعد عن كل ما يؤذيهما لأنهما سبب وجود الولد، وتربيته برحمة وإخلاص، وحب دائم، وتضحية من الأهل.

الثالث: الإحسان إلى القرابة وهو صلة الأرحام كالأخ والأخت والعم والخال وأبنائهم، وذلك بمودتهم ومواساتهم المادية والمعنوية.

الرابع: الإحسان إلى اليتامى، ومنهم الذين فقدوا آباءهم واستشهدوا في الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله أو الدفاع عن الأوطان، لأن هؤلاء الأيتام والمستضعفين، ومثلهم المعاقون فقدوا الناصر والمعين وهو الأب، والمعاق: فقد القدرة الجسدية على ممارسة حياة كريمة صحيحة.

الخامس: الإحسان إلى المساكين والفقراء: وهم المحتاجون الذين لا يجدون ما يكفيهم، والإحسان إليهم بالتصدق عليهم، أو بردّهم ردا جميلا، لقوله تعالى:﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴾[النساء: ٣٦]. وهذا يحقق مبدأ التكافل الاجتماعي في الإسلام.

السادس: الإحسان إلى الجيران: والإحسان إلى الجيران يحقق مبدأ التعاون والتواصل والتودد والشعور بالسعادة ويكون الإحسان للجيران بكف الأذى، وحسن العشرة، وتبادل الهدايا والزيارة، والوليمة والعيادة حال المرض ونحو ذلك.

السابع: الإحسان إلى ابن السبيل: وهو المسافر المنقطع عن ماله، أو الضيف بإكرامه ومساعدته للوصول إلى بلده. ومثله الإحسان للأرقاء في الماضي والخدم والأعوان في الحاضر [٦].

وتكتفي الباحثة بهذه الآية بالإشارة إلى الجانب الاجتماعي في الإسلام وهناك كتب لا تعد تحدثت عن هذا الجانب وأسهبت فيه.

المطلب الثاني: المضامين التربوية في سورة لقمان:

أولاً: البر بالوالدين وصلة الرحم:

الوالدان سبب وجود الإنسان في هذه الحياة بعد مشيئة الله ﷻ، لذلك ربط الله حقّ الوالدين بحقّه جلّ جلاله في القرآن الكريم لبيان عظيم منزلتهما وجليل فضلهما وقدرهما.

والبرّ إذا أضيف إلى الوالدين أو ذي القرابة كان معناه ضدّ العقوق يقول ابن منظور: وهو (البرّ) في حقّهما وحقّ الأقربين من الأهل ضدّ العقوق[٧] ومن معاني البرّ أيضا: الصّلة، والجنّة، والخير، والطّاعة، والحجّ، والاتّساع في الإحسان، وحسن الخلق [٨]، وفي التّنزيل العزيز:﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (الطور: ٢٨). وقال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى: البرّ وهو العطوف على عباده ببرّه أي بإحسانه ولطفه[٩].

والإحسان إلى الوالدين يعني: التّعطّف عليهما والرّفق بهما والرّعاية لأحوالهما وعدم الإساءة إليهما، وإكرام صديقهما من بعدهما [١٠]. وقد جاء البرّ في القرآن الكريم بمعنى صلة.

والصلة: وصلت الشّيء وصلا وصلة ووصلة، ووصل إليه وصولا أي بلغ وأوصله غيره، وقد يستعمل وصل بمعنى اتّصل: أي دعا بدعوى الجاهليّة، وهو أن يقال: يا لفلان، قال تعالى:﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ٩٠). أي يتّصلون، وكلّ شيء اتّصل بشيء فما بينهما وصلة، وصلة، أي اتّصال وذريعة، يقال: توصّل إليه، أي تلطّف في الوصول إليه، والتّواصل ضدّ التّصارم، ووصّله توصيلا إذا أكثر من وصله. والوصل خلاف الفصل، واتّصل الشّيء بالشّيء لم ينقطع [١١].

وحقيقة الصّلة في هذه الصّفة (صلة الرّحم): العطف والرّحمة، أمّا صلة الله لمن وصل رحمه فهي عبارة عن لطفه بهم ورحمته إيّاهم وعطفه عليهم بإحسانه ونعمه، أو صلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته [١٢].

والرّحم: علاقة القرابة، وقد سمّيت رحم الأنثى رحما من هذا، لأنّ منها ما يكون ما يرحم ويرقّ له من ولد، والرّحمة والرّحم: الرّقّة والتّعطّف، يقال: رحمته وترحّمت عليه (لنت له وتعطّفت عليه)، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا، والرّحمن والرّحيم اسمان مشتقّان من الرّحمة، والرّحيم قد يكون بمعنى المرحوم كما يكون بمعنى الرّاحم [١٣]. قال النّوويّ: اختلفوا في حدّ الرّحم الّتي يجب وصلها، فقيل: كلّ رحم محرم، بحيث لو كان أحدهما أنثى والآخر ذكرا حرمت مناكحتهما، وقيل: هو عامّ في كلّ رحم من ذوي الأرحام. وصلة الرّحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزّيارة والسّلام وغير ذلك [١٤].

وقد أوضح ابن منظور العلاقة بين المعنيين اللّغويّ والاصطلاحيّ فقال: هي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النّسب والأصهار، والعطف عليهم، والرّفق بهم، والرّعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا أو أساؤوا، وقطع الرّحم ضدّ ذلك كلّه، فكأنّه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصّهر والصّلة الجائزة والعطيّة [١٥] .

ومن خلال التعريفات السابقة ترى الباحثة أن مفهوم صلة الرحم: الوصل ضد القطع، والرحم اسم شامل لكل الأقارب. وصلة الرحم يقصد بها زيارة الأقارب وتفقد أحوالهم والبر بهم، ومشاركتهم أفراحهم وأتراحهم.

أهمية بر الوالدين وصلة الرحم:

مما لا شك فيه أن أوامر الله جل وعلا ونواهيه لم تأت من فراغ، فكثرة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تُرَغّب وتُعَظّم صلة الرحم دينيًا ودنيويًا إنما مردها إلى فوائد عديدة لهذا الخلق تنعكس على الفرد والمجتمع ككل، ولأهمية هذا الخلق فقد قال العلماء. إنّ صلة الرّحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة والأحاديث تشهد لهذا، ولكنّ الصّلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسّلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة فمنها واجب، ومنها مستحبّ. ولو وصل بعض الصّلة، ولم يصل غايتها لا يسمّى قاطعا، ولو قصّر عمّا يقدر عليه وينبغي له لا يسمّى واصلا.

إن صلة الرَّحِمِ ليست نافلة في حياة المسلم بل هي فرضٌ لازم، قد أوجبه الله ﷻ عليه، على اختلاف درجات حقوق الأرحام باختلاف درجات قرابتهم واختلاف أحوالهم.

١) أنها أمر الله عز وجل قال: تبارك وتعالى:﴿ **وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴾[الأنفال: ٧٥]. بين الإمام ابن كثير –رحمه الله تعالى–أن المعنى:﴿ **فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴾؛ أي: في حكم الله، وأنها ليست خاصة بالأرحام الذين يذكرهم علماء الفرائض الذين ليس لهم فرض، وليسوا من العصبة، بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات، كما نص عليه ابن عباس رضي الله عنهما وغيره (١٦).

٢) يزيد الله بها في العمر، ويبسط في الرزق، ويصل من وصلها، وهي من أسباب المحبة بين الأهل والأقارب. فعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه) (١٧).

٣) من أسباب دخول الجنة، فعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال ﷺ: (تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم) (١٨). وعن عبد الله بن سلام ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام) (١٩).

٤) واصل رحمه لا يخزيه الله تعالى، وتكون قوة إيمانه وخشيته لله على حسب صلته برحمه؛ ولهذا كان النبي ﷺ أوصل الناس لرحمه كما قالت أم المؤمنين خديجة ﷺ له: (كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرئ الضيف، وتعين على نوائب الحق ... الحديث) (٢٠).

٥) أنها من أسباب قبول العمل؛ لحديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أعمال بني آدم تُعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبلُ عمل قاطعِ رَحِمٍ) (٢١).

الإحسان إلى الوالدين، وصلة الرحم في سورة لقمان:

قال تعالى:﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[لقمان: ١٤ – ١٥]. وتوصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم، وفي وصايا رسول الله ﷺ ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلاً. ومعظمها في حالة الوأد وهي حالة خاصة في ظروف خاصة ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه. فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشئ لضمان امتداد الحياة، كما يريدها الله؛ وإن الوالدين ليبذلا لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال، في غير تأفف ولا شكوى؛ بل في غير انتباه ولا شعور بما يبذلان! بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما هما اللذان يأخذان! فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة! فأما الوليد فهو في حاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحي المدبر المولّي الذاهب في أدبار الحياة، بعدما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة! وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوّض الوالدين بعض ما بذلاه، ولو وقف عمره عليهما [٢٢].

وقال السعدي في تفسيره: بالقيام بعبوديتي، وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمي على معصيتي، وبالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، وإكرامهما وإجلالهما، والقيام بمئونتهما واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل. وصاحبهما صحبة إحسان إليهما بالمعروف، وأما اتباعهما وهما بحالة الكفر والمعاصي، فلا تتبعهما[٢٣].

قيل نزلتْ في عياشَ بنَ أبي ربيعةَ المخزُومي وذلك أنه هاجر مع عمرَ بنِ الخطَّاب ﷺ حتَّى نزلا المدينةَ فخرجَ أبو جهل والحرث أخواه لأمِّه أسماء فنزلا بعيَّاش وقالا له إن من دين محمدٍ ﷺ صلةَ الأرحامِ وبرَّ الوالدينِ وقد تركتَ أمَّك لا تطعمُ ولا تشربُ ولا تأوي بيتاً حتَّى تراك فاخرجْ معنا وفتلا منه في الذِّروة والغاربِ واستشار عمر ﷺ فقال هُما يخدعانِك ولك على أنْ أقسمَ مالي بيني وبينك فما زالا به حتَّى أطاعهما وعصى عمر ﷺ فقال عمرُ ﷺ أما إذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدُّنيا بعيرٌ يلحقها فإنْ رابك منهما ريبٌ فارجع فلمَّا انتهَوا إلى البيداءِ قال أبُو جهل/ إن ناقتي قد كلَّت فاحملني معك فنزل ليوطئ لنفسِه وله فأخذاه فشدَّاه وثاقاً وجلده كلُّ واحدٍ مائةَ جلدةٍ وذهبا به إلى أمِّه فقالت لا تزالُ في عذاب حتَّى ترجعَ عن دينِ محمَّدٍ[٢٤].

الوصية بالوالدين جامعة لأربعة أمور يجتمع فيها الفضائل كلها:

١) الإحسان إليها بترك إيذائها بالقول أو الفعل برهما بكل أنواع البر الممكنة.

٢) شكرهما على ما أسدياه من جميل وبذلاه من فضل.

٣) عدم طاعتها في معصية الله.

٤) معاشرتهما بالمعروف.

إن بر الوالدين والعطف عليهما ورعايتهما والإحسان إليهما جزاؤه في الآخرة أعظم من جزائه في الدنيا وهو المغفرة والرحمة ودخول الجنة بإذنه تعالى.

المضامين التربوية بالإحسان إلى الوالدين، وصلة الرحم في سورة لقمان:

١) يساهم الاحسان إلى الوالدين وصلة الرحم في بناء أسرة متماسكة متعاضدة، وبالتالي وجود مجتمع حصين يمد العالم بالقادة العظام والعلماء والمفكرين والمصلحين القادرين على إشعال نور الهداية إلى الناس.

٢) بر الوالدين وصلة الرحم علامة على صحة الإيمان وشعبة من شعب الإيمان.

٣) يساهم صلة الرحم على شيوع المحبة والتعاون بين الناس.

٤) سبب من أسباب حصول البركة في الرزق والعمر، وهذا يعني توسيع مفاتيح الرزق، وتأخير الآجال، وكلاهما غريزتان من الغرائز الثابتة في النفس البشرية.

٥) سبب لصلة الله جل وعلا وإكرامه عبدَه لأن الرحم متعلقة بالعرش، ومعنى وصل الله للعبد إكرامه بالخير والإحسان إليه. باب من أبواب دخول الجنة [٢٥].

٦) إجابة الدعاء ومن أعظم فوائد بر الوالدين: إجابة الدعاء، كما عنون الإمام البخاري في صحيحه: باب: إجابة دعاء من بر والديه، ثم ذكر حديث الثلاثة أصحاب الغار: (قال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأة، ولي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم حلبت لهما، فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل صبيتي، وإنه نأى بي ذات يوم الشجر، فلم آتِ حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحِلال وقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي -يصيحون ويبكون من الجوع- فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء، ففرج الله منها فرجة فرأينا منها السماء) [٢٦].

ثانيا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المعروف: كالعرف وهو ما تعرفه النّفس من الخير وتطمئنّ إليه، وقوله تعالى:﴿ **وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[لقمان: ١٥]: أي مصاحبا معروفا، قال الزّجّاج: المعروف هنا ما يستحسن من الأفعال؛ من النّصفة وحسن الصّحبة مع

الأهل وغيرهم من النّاس، والمنكر ضدّ ذلك جميعه [٢٧]. **والمنكر**: خلاف المعروف، وقد تكرّر في حديث النبي ﷺ الإنكار والمنكر، وهو ضدّ المعروف. وكلّ ما قبّحه الشّرع وحرّمه وكرهه، فهو منكر[٢٨]. وهو: اسم جامع لكلّ ما عرف من طاعة الله والتّقرّب إليه، والإحسان إلى النّاس، وكلّ ما ندب إليه الشّرع، ونهى عنه من المحسّنات والمقبّحات. **والمنكر**: كلّ ما قبّحه الشّرع وحرّمه ونهى عنه[٢٩]. قال الجرجانيّ: **الأمر بالمعروف**: هو الإرشاد إلى المراشد المنجّية. **والنّهي عن المنكر**: الزّجر عمّا لا يلائم في الشّريعة. وقيل: **الأمر بالمعروف** الدّلالة على الخير. وقيل: المنع عن الشّرّ. وقيل: الأمر بالمعروف: أمر بما يوافق الكتاب والسّنّة. **والنّهي عن المنكر**: نهي عمّا تميل إليه النّفس والشّهوة. وقيل: **الأمر بالمعروف**: الإشارة إلى ما يرضي الله عنه من أقوال العبد وأفعاله. **والنّهي عن المنكر**: تقبيح ما تنفّر عنه الشّريعة والعفّة وهو ما لا يجوز في شرع الله تعالى[٣٠].

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تبرز أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة المحمدية من عدة نواحٍ:

١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبب خيرية هذه الأمة: وهو من خصائصها وميزاتها التي مَنَّ الله ﷻ عليها بها من بين سائر الأمم؛ قال عز وجل:﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[آل عمران: ١١٠]. قال ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم، وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفي وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس:﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾؛ يعني خير الناس للناس، والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس، ولهذا قال :﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[آل عمران: ١١٠]، فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب ﷺ في حجة حجها، رأى من الناس سرعة، فقرأ هذه الآية﴿ :﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[آل عمران: ١١٠]، ثم قال: "من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله فيها"، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى:﴿ **كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾[المائدة: ٧٩]، ولهذا مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات، وذم أهل الكتاب وعلى ترك التواصي بينهم.

لا شك أن أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتسعى للناس بالخير، بدعوتهم إليه، وتبعد الناس عن الشر بتحذيرهم منه، هي أنفع أمة للناس. وكما أن هذا الفضل لهذه الأمة على سائر الأمم، فهو أيضاً فضل يتفاضل به أفراد هذه الأمة بعضهم على بعض، فمن قام منهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو أفضل من غيره، وهو خير الناس للناس، ومن كان منهم أكثر بذلاً في ذلك وأكثر تضحية فلا شك أنه أفضل ممن هو دونه. وفي المقابل فإن من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد زهد في هذه الخيرية، وتنصل من أخص وصف لهذه الأمة، وتشبه بأهل الكتاب الذين ذمهم الله ﷻ لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢) **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القطب الأعظم في الدين:** قال الإمام أبو حامد الغزاليّ- رحمه الله-: «إنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدّين، وهو المهمّ الّذي ابتعث الله له النّبيّين أجمعين، ولو طوي بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطّلت النّبوّة، وهلك العباد [٣١].

٣) **سبب في الفلاح:** كما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جعله الله ﷻ سبباً لخيرية هذه الأمة، فقد جعله أيضاً سبباً للفلاح لمن قام به، كما في قوله سبحانه وتعالى:﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران: ١٠٤).

والفلاح مكسب عظيم للإنسان فهو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، فلاح في الدنيا، وفلاح في الآخرة، فلاح في الدنيا بالحياة الطيبة، بما فيها من سعة الرزق، وصحة البدن، وأمن في الوطن، وصلاح في الأهل والولد ، وغير ذلك الكثير من جوانب الحياة الطيبة . وفوق ذلك كله الفلاح بالآخرة بالفوز بجنة عرضها السماوات والأرض، ورضوان من الله، ولذة النظر إلى وجهه الكريم، ومع ذلك النجاة من العذاب الأليم. فيا له من فضل عظيم يحصل عليه الإنسان بقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سورة لقمان:

قال تعالى:﴿ **يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[لقمان: ١٧]. قال أَهْلُ العِلْمِ: وفَرَضَ اللهُ ﷻ بِهذه الآية الأَمْرَ بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيَ عن المُنْكَر، وهو مِنْ فروضِ الكفاية ، إذا قام به قائمٌ، سقَطَ عن الغَيْر، وقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ رأى مِنْكُمْ مُنْكَراً، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمَان [٣٢].

والناسُ في الأمر بالمعروفِ وتغْييرِ المُنْكَرِ على مراتِبَ، فَفَرْضُ العلماءِ فيه تنبيهُ الولاةِ، وحَمْلُهُمْ على جَادَّة العلْمِ، وفرضُ الولاةِ تَغْييره بقوَّتهم وسلطانِهِمْ، ولهم هي اليَدُ، وفَرْضُ سائر الناسِ رَفْعُهُ إلى الولاةِ والحُكَّام بعد النَّهْيِ عنه قولاً، وهذا في المُنْكَرِ الذي له دَوَامٌ، وأما إنْ رأى أحَدٌ نازلةٌ بديهيَّةً مِنَ المُنْكَرِ

كالسَّلْبِ والزِّنَا ونحوه، فيغيِّرها بنَفْسِهِ، بحَسَب الحالِ والقدرةِ، ويَحْسُنُ لكلِّ مؤمن أنْ يعتمل في تَغْيِيرِ المنْكَرِ، وإنْ ناله بَعْضُ الأذى ويؤيِّد هذا المنْزَعَ أنَّ في قراءة عثمانَ وابْنِ مسْعودٍ، وابنِ الزُّبَيْرِ: «يَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ، وَيَسْتَعِينونَ اللَّهَ على مَا أَصَابَهُمْ»(٣٣)، فيه إشارةٌ إلى التعرُّض لما يصيبِ عَقِيبَ الأمْر والنهْيِ كما هو في قوله:﴿ **يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾[لقمان: ١٧].

المضامين التربوية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سورة لقمان:

١) إقامة الحق وانتشار العدل ورفع الجور والظلم بين العباد:

من الآثار المترتبة على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إقامة الحق وظهوره بين الناس وانتشار العدل، واضمحلال الجور والظلم بين العباد، لوجود من يردع أهل الظلم، ويقف مع المظلومين، ولذلك أمرنا رسول الله ﷺ أن ننصر المظلوم، ونقف في صفه حتى ينال حقه من الظالم، وأن نردع الظالم عن ظلمه حتى يعود إلى صوابه، فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال: «تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره»(٣٤).

وأمر النبي ﷺ بالتناصح بين المسلمين، بل وجعله من أهم ركائز الدين؛ لما له من أثر عظيم في رفع الظلم، وإقامة العدل، وانتشار الخير، واضمحلال الشر، فعن تميم الدّاريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدّين النّصيحة قلنا: لمن؟، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم»(٣٥).

٢) يزيل عوامل الشّرّ والفساد ويثبّت معاني الخير والصّلاح في الأمّة:

بظهور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحاصر الرذيلة وتنقمع المعصية ويقع الرعب والخوف في قلوب أرباب الفساد والمعاصي، وذلك أن أهل الفساد يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقضي على الرذيلة أوّلا بأوّل، لوجود من يردع أهل المنكرات عن التطاول والتمادي في فجورهم، وبذلك تسلم الأمّة من شرورهم وفسادهم، وتسعد في حياتها الخالية من الذنوب والمعاصي.

وبالمقابل فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يساعد في نشر المعروف بين المسلمين، وتثبيت معاني الخير في حياة الأمة، وتقوية جانب الفضيلة، وإشاعة الأخلاق الحسنة في العلاقات الاجتماعية لتقوم على قواعد وأسس الشريعة، حيث الصدق والوفاء، والتراحم والتناصح، وأداء الأمانة، والرفق والإحسان، ويهيّأ الجوّ الصّالح الّذي تنمو فيه الآداب والفضائل وتختفي فيه المنكرات والرّذائل، ويتربّى في ظلّه الضّمير العفيف والوجدان اليقظ، والانطلاق لإسعاد المجتمع(٣٦).

٣) يبعث الإحساس بمعنى الإخوة والتكامل بين المؤمنين:

إن القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشعر أبناء المجتمع الواحد بمعنى الإخوة، لأنه نوع من التناصح الذي يبعث الإحساس بالتكامل فيما بينهم، والتعاون على البر والتقوى واهتمام المسلمين بعضهم ببعض وقد أمرنا الله ﷻ بذلك فقال سبحانه:﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾(المائدة: ٢).وإن القيام بذلك مما يوطد الأمن ويبعث الطمأنينة في نفوس المسلمين، ويؤكد الثقة والمحبة والاعتزاز بالجماعة في قلوب المؤمنين ويأمن الناس على الحقوق والحرمات.

٤) يشد ظهر المؤمنين ويقوي عزائمهم ويرغم أنوف المنافقين ويضعف معنوياتهم:

لاشك أن المؤمن يفرح عندما يرى من يؤازره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتتقوى عزيمته بمساندة إخوانه وأنصاره، ومن يقف معه وقفة إيجابية في نشر دعوته، وهذا من لوازم الولاء بين المؤمنين الصادقين، وعلى العكس من ذلك فالمنافقون تضيق صدورهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الله عنهم:﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾(المائدة:

٢). التمكين في الأرض والنصر على الأعداء:

وعد الله عباده المؤمنين بالنصر على أعدائهم مقابل نصرهم لدينه ولكتابه، وامتثالهم لأوامره، واجتنابهم لنواهيه، وإقامتهم لحدوده، ونصحهم لعباده، وجهادهم في سبيله لإعلاء كلمته، واتباعهم لرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾(المائدة:٢)

ثم بين صفات هؤلاء الموعودين بهذا النصر في الآية التي بعدها فقال سبحانه: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ**

رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(المائدة:)

قال الإمام مُحَمَّد المختار الشنقيطي: "يدل على أن الذين لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، ليس لهم وعد من الله بالنصر البتة، فمثلهم كمثل الأجير الذي لم يعمل لمستأجره شيئا ثم جاءه يطلب منه الأجرة، فالذين يرتكبون جميع المعاصي ممن يتسمون باسم المسلمين ثم يقولون: إن الله سينصرنا مُغَرَّرُون لأنهم ليسوا من حزب الله الموعودين بنصره كما لا يخفي" (٣٧).

ثالثا: التوسط (الوسطية).

أن دين الإسلام دين توسط واعتدال، دين حق وعدل، دين رحمة وسماحة، دين محبة وإخاء قال الله تعالى:﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[البقرة: ١٤٣].

فالوسطية اختيار من الله لهذه الأمة ومنهج الله فيهم تكريم منه سبحانه لتحقيق الأمن والسلام بين الأفراد وزرع الثقة والطمأنينة والإحساس بالآخرين وتحقيق التعاون والتكافل بين الأغنياء والفقراء.

قال ابن الأثير– رحمه الله – في بيان أفضلية التوسط: "كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان: فالسخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وتجنبه يكون بالتعري منه، والبعد عنه، فكلما ازداد منه بعدا ازداد إلى الوسط تقربا؛ ولذلك فإن أبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطها، فإذا كان في الوسط، فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان" (٣٨).

أولا: مفهوم التوسط:

التوسط يدل على العدل والنصف، ووسط الشيء: ما بين طرفيه. وتارة يقال فيما له طرف محمود وآخر مذموم كالخير والشر أو الجودة والرداءة، ويقال: فلان وسط في قومه، إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا. وفي صفة نبينا ﷺ، أنه كان من أوسط قومه: أي خيارهم، فكان نبينا ﷺ من خير مكان في نسب العرب، وأمته أيضا كذلك جعلت وسطا أي خيارا (٣٩). قال الراغب: التوسط: القصد المصون عن الإفراط والتفريط (٤٠).

ومن خلال التعريف ترى الباحثة أن التوسط هو: أن يتحرى المسلم الاعتدال ويبتعد عن التطرف قولا وفعلا بحيث لا يقصر ولا يغالي. والتوسط بين حالين، وهو أفضل طريقة يتبعها المؤمن من أجل تأدية واجباته نحو ربّه، ونحو نفسه. فالوسطية هي التي تقيم الوزن بالقسط بين المتقابلات، بلا طغيان ولا إخسار. بحيث يمكن الجمع بينها، دون أن يطغى أحد المتقابلين على الآخر، كالذي يجمع بين حسنتي الدارين، الدنيا والآخرة، والذي يجمع بين النورين: الوحي والعقل {نُورٌ عَلَى نُورٍ} [النور:٣٥].

ثانياً: أهمية التوسط والاعتدال:

تُعرف الوسطيّة بشكل عام بأنها نقطة تتوسط وتفصل بين التشدد والانحلال، وتعتبر الوسطية الإسلامية بأنها موقف أخلاقي ينتهجه الإسلام، ومنهج فكري وسلوكي يتبعه لوضع الفواصل في حياة الأفراد والحكم على مواقف تواجههم في حياتهم اليومية، ويمكن تعريف الوسطيّة أيضاً بأنها تصوّر الإسلام للمناهج والمواقف التي تواجه الانسان باعتدال، والسعي لتحرّي الصواب دون تشددّ أو انحلال لكن باختيار الحل الأوسط بينهما. وتُعنى وسطية الإسلام بتحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة؛ أي انتقاء الحل الذي يحقّق رضا الله ﷻ ويتفق مع واقع الأفراد، ويشترط أن تكون الأمور دائماً موافقةً للشرع بالدرجة الأولى. يُذكر بأنّ الدين الإسلامي قد ذمّ التشددّ والمغالاة في أمور الحياة واعتبره بأنه إحدى طرق الضغط غير المباشر على الأفراد للخروج عن الطريق الصحيح، وأنّه وسيلة أو أداة لإرهاق المجتمع المسلم وإضعافه.

ولأهمية الوسطية في الإسلام فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم

١) الوسطية مطلبٌ شرعي وحضاريٌ:

إن الوسطية حق وخير وعدل، ومطلب شرعي أصيل، ومظهر حضاري رفيع، ليتحقق التكامل والانسجام بين الأوضاع، والتعاون بين الجميع، ويصير الإخاء والإقدام على العمل أساس كل تقدم ورفاه، كما أن حالة الوسطية تؤدي إلى أداء الواجبات وحقوق الله ﷻ وحقوق الناس، فلا تقصير في واجب، ولا إهدار لحق، ولا تقصير في الأداء، كما أنه لا تظالم أو تناحر ولا صراع أو تنافس غير شريف، ولا تناقض في السلوك والممارسات الاجتماعية، ولا تعقيدات أو أمراض نفسية أو اجتماعية، لأن كل إفراط أو شذوذ يؤدي إلى الاضطراب، وكل تفريط في أداء واجب يكون سبباً في إثارة المنازعات والخصومات، وإغراق المحاكم بالدعاوي وتعطيل الأوقات، وتجميد الأحوال.

٢) الوسطية الخصيصة البارزة لهذه الأمة:

الإسلام يريد من الأمة المسلمة أن تعكس ظاهرة التوازن الكونيَّة في حياتها وفكرها وسلوكها، فتتميَّز بذلك عن سائر الأمم. وإلى هذه الميزة والخصيصة البارزة يشير قوله تعالى مخاطباً أمة الإسلام:﴿ **وَكَذَلِكَ**

﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣]، روى الطبراني بإسناده عن النبي ﷺ في قوله:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾. قال: عدولا وكذلك ورد في تفسير ابن عباس حيث قال: (جعلكم عدولا)، ويقول الطبري في تفسيره: "وأرى أن الله، تعالى ذكره ـ إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها. وأما التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل ـ كما سبق ـ وذلك معنى الخيار، لأن الخيار من الناس عدولهم" [٤١]. ويقول سيد قطب رحمه الله في تفسير الآية: "وإنها للأمة الوسط في التصور والاعتقاد، أمة وسط في التفكير والشعور، وفي التنظيم والتنسيق، والارتباطات"[٤٢].

قال تعالى:﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[المائدة: ٨٩]. قال الطبري في تفسيره: "من أوسط ما تطعمون أهليكم " أعدله. وقال عطاء: أوسطه: أعدله. وقال بعضهم: من أوسط ما يعلم من أجناس الطعام الذي يقتاته أهل بلد أهليهم ومن ذلك قول ابن عمر: من أوسط ما يطعم أهله الخبز والتمر، والخبز والسمن، والخبز والزيت، من أفضل ما يطعمهم: الخبز واللحم [٤٣].

٣) الوسطية تعني الطريق المستقيم:

والوسطية تعني كذلك استقامة المنهج، والبعد عن الميل والانحراف. فالمنهج المستقيم وبتعبير القرآن:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: ٦]' هو – كما عبر أحد المفسرين – الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب، فإذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين؛ فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية، ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة أن تكون الأمة المهدية إليه وسطا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة[٤٤]. والإسلام وحده ينفرد بهذه المزيَّة (الوسطية) دون غيره من الملل. التي حرفت وبدلت عن أصلها المنزل، والتي وضعها البشر بتصورهم الذاتي.

٤) الوسطية دليل القوة:

الوسطية دليل القوة، فالوسط هو مركز القوة، ألا ترى الشباب الذي يمثل مرحلة القوة وسطاً بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة؟! وإليه الإشارة بقوله ﷻ:﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾[الروم: ٥٤]. والشمس في وسط النهار أقوى منها في أول النهار وآخره.

٥) الوسطية تمثل الأمان:

الوسطية تُمثِّل منطقة الأمان، والبعد عن الخطر، فالأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد أكثر من غيرها، بخلاف الوسط، فهو محمي ومحروس بما حوله، وكذلك شأن النظام الوسط، والمنهج الوسط، والأمة الوسط. ولذلك نجد الحكم والامثال تحذّر من التطرف لأنه سبب الضياع، وتوصي بالتوسط لأنه سبب الحفظ والبقاء [٤٥].

ثالثا: الوسطية في سورة لقمان:

﴿ **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾[لقمان: ١٨ – ١٩].

واقصد في مشيك: إشارة إلى الأفعال، واغضض من صوتك: إشارة إلى الأقوال، فنبه على التوسط في الأفعال، وعلى الإقلال من فضول الكلام [٤٦]. وقال ابن كثير في تفسيره واقصد في مشيك أي امش مقتصدا مشيا ليس بالبطيء المثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلا وسطا بين بين. وقوله واغضض من صوتك أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه، ولهذا قال إن أنكر الأصوات لصوت الحمير قال مجاهد وغير واحد: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى، وهذا التشبيه في هذا بالحمير، يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم [٤٧].

(واقصد في مشيك) أي: توسط فيه، والقصد ما بين الإسراع والبطء، يقال: قصد فلان في مشيته: إذا مشى مستوياً لا يدب دبيب المتمادين، ولا يثب وثوب الشياطين. وقد ثبت " أن رسول الله ﷺ كان إذا مشى أسرع "، فلا بد أن يحمل القصد هنا على ما جاوز الحد في السرعة، وقال مقاتل: معناه لا تختل في مشيتك، وقال ابن مسعود: كانوا ينهون عن خبي اليهود، ودبيب النصارى، ولكن مشياً بين ذلك، وقيل: انظر موضع قدميك تواضعاً، والمعنى أعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيَيْن الدبيب والإسراع. وقال عطاء: امش بالسكينة والوقار، كقوله: يمشون على الأرض هوناً [٤٨].

رابعا: المضامين التربوية للتوسط والاعتدال وأثره على المجتمع الإسلامي:

١) تساعد الوسطية في نشر التقارب والتعايش بين الناس: فالوسطية مطلوبة في الخطاب التربوي، بعيدا عن التشدد والغلو وتحريض الناس فالرسول ﷺ خاطب جميع الفئات وعاش معها فعاش في مكة مع الكفار وكذلك في المدينة أبرم عهداً مع اليهود وتعايش معهم تحت سقف دولة واحدة.

٢) الوسطية عامل مهم في نبذ العصبية والدعوة إلى الحوار وتقبل الآخر: فهذا الأمر مطلوب وأصبح مطلباً ملحاً بين التيارات والجماعات والفئات الإسلامية فنحن مطالبون بجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم أمام العدو الواضح عداوته لله ورسوله فلنكن دعاة وحدة وسلام فيما بيننا تحت شريعة الله ورسوله، وكان الرسول ﷺ يستخدم الحجة والبرهان في الخطاب وكذلك اللين والرحمة شعاره."بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا [٤٩]".

٣) تساعد الوسطية في التعايش السلمي داخل المجتمع المسلم: فالوسطية في الخطاب التربوي تنشر المحبة بين المجتمع والطوائف المختلفة تحت شعار متميز وضعه الرسول ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) ولكن إذا أردنا النجاح في ذلك فليكن لنا مرجعا نرجع إليه عند اختلافنا وهو الكتاب والسنة تحت هذا الدستور الواضح والبين الصالح إلى قيام الساعة وفي النهاية لكم دينكم ولي دين ولنحترم بعضنا بعضا وليعذر بعضنا البعض في الاجتهادات ليتم لنا التعايش المنصف على مستوى المجتمع الواحد فما إن ننجح في ذلك نستطيع تطبيقه مع الاخر في المجتمعات الغير إسلامية وتجتمع كلمتنا وترجع لنا مكانتنا وقوتنا ومجدنا التليد.

٤) التربية الوسطية تساعد على نشر القيم والمبادئ العظيمة الداعية الى التسامح وحب الخير للآخرين ونشر ثقافة التسامح ونبذ الأحقاد والغل فيما بيننا.

٥) التربية الوسطية تشر الأمن والأمان بين المجتمع، إذ أن محاربة الأفكار الهدامة الداعية الى الإخلال بالأمن والسلم المجتمعي مطلب لبقاء البشرية ومطلب للبناء والتعمير للأرض، ونشر الدين وتعليم البشرية دين ربها سبحانه وتعالى.

٦) الوسطية تساعد في وجود التكافل الاجتماعي والتراحم بين المجتمعات. على اختلاف مذاهبها ومشاربها الفقهية والطائفية فبالخطاب التربوي المعتدل الوسطي المنهج ينتشر التعايش بين الناس والتراحم والتعاطف.

٧) التوسط هو الاعتدال والقصد وفي ذلك الخير كله.

٨) التوسط مدار الفضائل في كثير من الأمور، فالشجاعة مثلا وسط بين الجبن والتهور [٥٠].

المطلب الثالث: وسائل وأساليب التربية في سورة لقمان:

القرآن الكريم هو المصدر الأول للمربيين ورواد التربية الإسلامي في تتبع الأساليب التربوية الكثيرة والمتعددة الأنماط والأشكال والتي تراعي أحوال الفئات المستهدفة، وامكانياتهم، وقدراتهم العلمية، والاستيعابية، وتعد سورة لقمان من أبرز السور القرآنية التي ضمت في ثناياها الكثير من الأساليب التربوية، وقد أسس عليها علماء التربية قواعدهم التربوية ونظرياتهم التربوية، وذلك لما تضمنته من أساليب تربوية، وهنا نبرز أهم أساليب التربية الإسلامية في سورة لقمان، وهي:

أولا: التربية بالقدوة:

التربية بالقدوة من أهم أساليب التربية، في ترسيخ المبادئ والقيم والأخلاق في تربية الأجيال، وقد ركز القرآن الكريم على هذا الأسلوب في التربية، بل إن كل القواعد والمناهج التربوية تظل مجرد نظريات، وحبر على ورق، ولا تتحقق جدواها ما لم تتحول إلى سلوكٍ عملي يراه المتربي في المربين أنفسهم، فقد سؤلت عائشة أم المؤمنين ﵂ عن خلق رسول الله ﷺ. فقالت: خلقه القرآن، جاء في صحيح مسلم "يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: «ألست تقرأ القرآن؟» قلت: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن» (٥١)، وجاء في مسند أحمد قالت عائشة رضى الله عنها: أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ الله ﷻ: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:٤] (٥٢).

والتربية بالقدوة أبلغ من وسيلة التعليم والترغيب والترهيب، وغيرها من الوسائل، لأن الأخذ بالشيء عمليًا أكثر إقناعًا، للطالب، أو للأبناء، من الحديث عنه والثناء عليه، فمجرد العمل بأي عمل تقوم به، يحصل قناعة عند الطالب أو الأبناء بصلاحية هذا العمل، "فالطفل ابتداء من السنة السادسة من عمره تقريبا يمكن أن يحدد مدى التزام أهله ومعلميه بالتوجيهات التي يأمرونه بها، فالتلقين لا يثمر مع الولد وإن استعملت معه جميع أنواع ووسائل التربية إن لم توجد القدوة الصالحة التي تكون بمثابة ترجمة عملية للمعاني المجردة"(٥٣).

وهذا الأسلوب تجلى في شخص لقمان الحيكم، فقد كان (المربي القدوة)، حيث بدأ بتربية نفسه، قبل أن يتوجه إلى ابنه أو إلى الناس بالوعظ والتربية، وقد منح الله تعالى لقمان الحكمة، وهي في حد ذاتها صفة أمتدح الله تعالى بها لقمان فقال تعالى: (ولقد أتينا لقمان الحكمة)، فالتربية بالقدوة طبيعة بشرية، وهي فطره فطرهم الله عليها: فالإنسان يتأثر بالمحاكاة والقدوة، أكثر مما يتأثر بالقراءة والسماع، ولاسيما في الأمور العملية، وهذا التأثير فطري لا شعوري في كثير من الأحيان، فالأبوة لا تتحقق بتوفير الحاجيات المادية فقط، بل تتطلب نموذجية خلقية وشخصية مستقيمة يقتدي بها الأبناء، وكذلك التعليم، فالمعلم

بيست مهمته أن يلقن الطلبة المنهج أو المقرر وينصرف، لا بل بتطلب منه أن يكون مثالاً لهم يقتدى به في تعامله وسلوكه.

لذا ورد في سياق وصايا لقمان الحكيم إشارة في تحدد الأهلية الأبوية، وذلك في الإيمان بالله والاستقامة، قال تعال:﴿ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[لقمان: ١٥]. فالآية تشير إلى أن حدود الأهلية في الأبوة هي الصلاح، وليس الإنفاق والإطعام والشراب ولا تتم هذه التربية إلا بالقدوة، والمتعلمون يتأثرون بمعلميهم فيقلدونهم، ويسيرون على خطاهم، ويعتقد الأطفال- تحديداً- بأن المعلم هو نموذجه الأعلى، فالتربية بالقدوة، أسلوب متكرر في القرآن الكريم، وفي التربية الربانية من لدن أبو البشر آدم عليه السلام، وحتي رسولنا مُحَمَّد ﷺ، والسلف الصالح إلى يومنا هذا.

فالاقتداء، بالحيكم لقمان، والأنبياء، وسائر عباد الله الصالحين، والمصلحين والمصلحات، وسائر القدوات، والتأسي بهم، فالأولاد لا يسمون بل يقلدون. إن القيَمُ التي يجسّدها المربي واقعاً في سلوكه تكون أبلغ أثراً من كل الكلمات المجردة، والعبارات (٥٤).

فمن أجمل الإشارات التي أشارت إليها سورة لقمان في أسلوب التربية بالقدوة، هي مسألة صحبة الآباء للأبناء. فالأبناء يتأسَّون بسلوكيات آبائهم، وللأخلّاء أثر بالغ على جلسائهم، كما أن شخصية المعلم وأخلاقه تنعكس إيجاباً أو سلباً على تلاميذه.

ثانيا: أسلوب التربية بالترهيب والترغيب:

من خلال ما سبق من تعاريف الترغيب والترهيب في اللغة والاصطلاح، نستطيع القول بأن الترغيب هو عكس الترهيب؛ فإذا كان الترغيب هو الترغيب بالشيء، فالترهيب هو التخويف من الشيء. وهو أسلوب أستعمله القرآن الكريم ليذكر به المؤمنين، وتحذير للكافرين بالنار، فأحيانا يربيهم بأسلوب التغريب لوحده، وأحيانا يستخدم التربية بالترهيب، وأحيانا يستخدم أسلوب التربية بالترغيب والترهيب. وبذلك يمكن أن يعد أسلوب الترغيب والترهيب، في هذا المجال مسألة لا بديل عنها في توجيه الإنسان، وتحفيزه على التعلم وتجنب الوقوع في الخطأ، وما من موضع في القرآن يذكر الله تعالى عباده مرغباً لهم بالجنة أو الثواب إلا ويعقبه الترهيب والتخويف لهم من والتحذير لهم من عقابه للمخالفين عن أمر وعصيانهم لربهم ورسله، وهو ما اشتملت عليه هذه السورة المباركة كغيرها من سور القرآن الكريم. من أسلوب الترغيب والترهيب التحذير، وقد جاء هذا الأسلوب في سورة لقمان بقوله تعالى:﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ**

لَكَافِرُونَ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[لقمان: ٨ – ٩]، قال الشعراوي في تفسيره لهذه الآية: " وهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات في مقابل الذين يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله، وهذه سِمَة من سمات الأسلوب القرآني؛ لأن ذكر الشيء مع مقابله يُوضِّح المعنى ويعطيه حُسْناً، كما في قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾ الانفطار: (١٣ – ١٤). فالجمع بين المتقابلات يُفرح المؤمن بالنعيم، ثم يفرحه بأنْ يجد أعداءه من الكفار الذين غاظوه واضطهدوه وعذَّبوه يجدهم في النار." (٥٥).

وأسلوب الترغيب في هذه الآية واضح بترغيب بالمؤمنين من نعيم بينما في موضع آخر من هذه السورة استعمل أسلوب الترهيب والتخويف وذلك في قوله تعالى:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[لقمان: ٦ – ٧]. ففي الآيات الأولى استخدم الله التربية بالترغيب فقد رغبهم الله تعالى بالاستكثار من عمل الصالحات، ورغبهم بالثواب المترتب على ذلك بجنات النعيم، وهو نعيم خالد لا ينغصه الخوف من الموت أو انتهاء بفترة زمنية.

وفي الآيات الثانية استخدم الله أسلوب التربية بالتهريب والتخويف، للذين أعرضوا عن الله وذكره، واثروا انشغالهم بالدنيا ولهوها، وكل ما يشغلهم عن طاعة الله تعالى وعبادته، فخوفهم أن نتيجة هذا الانشغال بلهو الحديث، العذاب الأليم في الأخرة(٥٦).

ثالثا: أسلوب التربية بالوعظ والإرشاد:

يعد أسلوب التربية بالوعظ والإرشاد هو الأساس لبناء الأمم، وللقرآن الكريم طريقته الخاصة وسحره الخاص الذي يأسر به القلوب ويلامس الوجدان وشغاف القلوب، فالوعظ والارشاد كلاهما وسيلة من وسائل التربية، وعامل من عوامل التعلم، استخدمه القرآن الكريم، وأسلوب الوعظ قامت عليها الرسالات السماوية، ونهضت دعوات الإصلاح الفردي والاجتماعي.

وذكر أسلوب التربية بالوعظ صريحاً في هذه السورة قال الله تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾(لقمان: ١٣) وهو يعظه: فالوعظ أسلوب تربوي له أثر بالغ في التربية والتعليم ؛ فالتربية بالوعظ، تغرس القيم الإسلامية بميادينها المختلفة.

وهذا النوع من التربية يجد نجاحاً كبيراً في ظل ضوابط النصح أو ضوابط الوعظ التي قال بها العلماء. ضابط الموعظة: قال الشيخ الشنقيطي – رحمه الله تعالى – أن ضابط الوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم و نواهيه، فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله، وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه، فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفاً وطمعاً [٥٧].

رابعا: أسلوب التربية بالتأمل في الآيات الكونية (الاستكشاف):

يعد أسلوب التربية بالتأمل وسيلة من وسائل التربية، وعامل من عوامل التعلم، استخدمه القرآن الكريم، وأسلوب التأمل، يساعد على تصور عظمة الذات الإلهية، تنمية قدرة الفرد على التأمل والتفكير بالنظر في الكون وتدبره، ويسهم أسلوب التدبر أو التأمل بقدر كبير في تنمية الإيمان وتقوية مواهب الإنسان مما يؤدي إلى تكوين المسلم الصالح. قال إسحاق فرحان أن الهدف الأسمى للتربية الإسلامية هو "إيجاد الفرد المؤمن الذي يخشى الله ويتقيه ويحسن عبادته؛ ليفوز في الآخرة ويسعد في الدنيا [٥٨]"

الفرق بين التأمل والتفكر والتدبر:

التّأمّل قد يكون بالبصر مع استمرار وتأنّ يؤدّي إلى استخلاص العبرة، وأنّ التّفكّر جولان الفكر في الأمر الّذي تكون له صورة عقليّة عن طريق الدّليل. أمّا التّدبّر؛ فإنّه يعني النّظر العقليّ إلى عواقب الأمور.

فالمعاني الثّلاثة وإن كانت متقاربة إلّا أنّها ليست واحدة وإذا ذكر بعض أهل العلم أنّها مترادفة فإنّما يقصد فقط التّرادف الجزئيّ الّذي قد يوجد في بعض الأحيان دون بعضها الاخر [٥٩].

قال ابن القيم: أما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه. وجمع الفكر على تدبره وتعقله. وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر، قال الله تعالى:﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾[ص: ٢٩]

وكما هو أسلوب القرآن الكريم التربية للتأمل، فقد كان لهذه السورة الحظ الكبير في استخدام هذا الأسلوب التربوي الرباني لعباده وجاء في السورة لغرض؛ دفع شبه القوم الكافرين في إنكار وحدانية الله تعالى وهي الحقيقة التي يؤكدها القرآن في منهجه التربوي بترسيخ العقيدة فلا تربية بغير ايمان التأمّل يزيد من إيمان الإنسان، ويقوّي في قلبه معنى التوحيد والتسليم لله تعالى، وذلك لِما يرى من عظمته وقدرته على الخلق والتدبير. ، وثمرة هذا الإيمان يبث الاطمئنان بالسعادة والحياة الدنيا والأخرة، وتحمي الإنسان

من الضياع ويتبين للإنسان الحقيقة التي خلق من أجلها . ثم تسوق هذه السورة دعوة للتربية بالتأمل تقوده إلى التأمل في مشهد الخلق الكوني المتكامل والمتناسق؛ ليستنتج المتأمل بأن خالق هذا الكون يستحق العبادة وحده لا شريك له:﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾[لقمان: ١٠]، قال سيد قطب في تفسيره: " والسورة تتولى عرض هذه القضية بطريقة تستدعي التدبر لإدراك الأسلوب القرآني العجيب في مخاطبة الفطر والقلوب. وكل داع إلى الله في حاجة إلى تدبر هذا الأسلوب. إنها تعرض هذه القضية في مجال العرض القرآني. وهو هذا الكون الكبير. سماؤه وأرضه. شمسه وقمره. نهاره وليله. أجواؤه وبحاره، أمواجه وأمطاره. نباته وأشجاره. وهذا المجال الكوني يتكرر في القرآن الكريم. فيحيل الكون كله مؤثرات ناطقة، وآيات مبثوثة عن الإيمان والشمائل، تخاطب القلوب البشرية وتؤثر فيها وتستحييها، وتأخذ عليها المسالك والدروب"(٦٠).

إن التربية بالتأمل من أساليب النبي ﷺ تبنى على طرح الاسئلة ومناقشتها لكي يصل الطرف الأخر أو الطرف المجادل إلى طريق الحق بالأدلة والبراهين.

خامسا: أسلوب التربية بضرب الأمثال:

ضرب الأمثال هو أسلوب تربوي استعمله القرآن الكريم لينير العقل ويدعو إلى التدبر والتفكر والتأمل من أجل تثبيت اليقين والايمان في القلوب.

والأمثالُ أقوال سائرة مسلمة سيقت للعظةِ والاعتبار، مع الإيجازِ والإحكام والدقة والتركيز، وقضايا الأمثال مما تتظاهر العقول البشرية على التسليم به، فإذا ما عرض للناسِ في حياتهم أمرٌ من الأمورِ التي تدخل في مفهومِ أحد الأمثال تمثَّلوا به، فتأنس النفوس لذلك (٦١).

قال النحلاوي: هو نظم من التنزيل يعرض نمطا واضحاً معروفاً من الكائنات أو الحوادث الكونية أو التاريخية عرضاً لافتاً للأنظار، ليشبه أو يقارن به سلوك بشري، أو فكرة مجردة، أو أي معنى من المعاني، بقصد التوضيح أو الإقناع أو البرهان أو التأثير، أو لمجرد الاقتداء به، أو التنفير منه والابتعاد عنه أو بقصد بيان الفارق بين أمرين متناقضين للأخذ بأحدهما والابتعاد عن الآخر أو للبرهان على صحة أحدهما، وبطلان الآخر (٦٢).

ولذلك نجد في سورة لقمان التربية بهذا الأسلوب، حيث يقول الله تعالى:﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[لقمان: ٧]، قال الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان: (كأن في أذنيه وقرا ، على سبيل التشبيه) (٦٣)، وقال الشعراوي:" في الآية تمثيل

للإعراض عن آيات الله، حال؛ أي هو إعراض استكبار لا إعراض تفريط في الخير فحسب، وشُبه في ذلك بالذي لا يسمع الآيات التي تتلى عليه، ووجه الشبه هو عدم التأثر ولو تأثرًا يعقبه إعراضٌ كتأثر الوليد بن المغيرة"(٦٤).

كذلك في قوله تعالى:﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(لقمان: ٢٧)

الخاتمة:

وختاما فإن هذه الدراسة تتعلق بإحدى سور القرآن الكريم، وقامت بدراسة المضامين التربوية في سورة لقمان، وخاصة ما يتعلق بالجانب الأخلاقي، وتبين من خلالها قضايا السورة المتعددة، وأهدافها العامة، ومقاصدها الأساسية، وأساليبها التربوية، ومضامينها التربوية، مع إمكانية تطبيقها على شريحة معينة المجتمع مستقبلا؛ مما يمكن للدراسة أن تسهم في وضع منهجية جديدة للتربية الإسلامية.

وتبين في الدراسة أهمية تناول سورة لقمان، كدراسة تربوية تسعى للرقي بالفرد والمجتمع المسلم، وقد قامت بالكشف عن مضامين السورة تربويا، والاستفادة منها واقعاً عملياً.

وأن الإنسان يكتسب الوجود بتأثير من والديه، ثمّ يتأثّر بسلوكيات من حوله، ثمّ يدخل في خضم المجتمع، فجميع الأعمال والسلوكيّات التي تصدر منّا برغم ما لنا من استقلال في الفكر والإرادة والعمل؛ تتأثّر لا محالة بالمجتمع والحياة الاجتماعيّة. والإنسان بهدف تلبية حاجته الأساسيّة والضرورية مضطرّ إلى الحياة ضمن المجتمع، كما وأنّ كثيراً من أبعاد الإنسان الوجودية لن تزدهر إلّا في ظلّ هذه الحياة الاجتماعيّة. أن مسؤولية التربية الاجتماعية من أهم المسؤوليات في إعداد الولد لدى المربين والآباء، وأن الإسلام ومزاياه لا تنقضي؛ فشموليته وصلاحه لكلّ زمانٍ ومكان، فنُصوص الدين ومصادره الأصيلة من الوحي، تتسع لتشمل كافّة مناحي الحياة.

وأن البرّ إذا أضيف إلى الوالدين أو ذي القرابة كان معناه ضدّ العقوق، وأن صلة الرَّحِمِ ليست نافلة في حياة المسلم بل هي فرضٌ لازم، قد أوجبه الله ﷻ عليه، على اختلاف درجات حقوق الأرحام باختلاف درجات قرابتهم واختلاف أحوالهم.

كما ينبغي على المسلم أن يتحرى الاعتدال ويبتعد عن التطرف قولا وفعلا بحيث لا يقصر ولا يغالي. والتوسط بين حالين، وهو أفضل طريقة يتبعها المؤمن من أجل تأدية واجباته نحو ربّه، ونحو نفسه.

وأن من أهم أساليب التربية هو أسلوب التربية بالقدوة؛ لترسيخ المبادئ والقيم والأخلاق في تربية الأجيال، وقد ركز القرآن الكريم على هذا الأسلوب في التربية. كما يمكن أن يعد أسلوب الترغيب والترهيب، في هذا المجال مسألة لا بديل عنها في توجيه الإنسان، وتحفيزه على التعلم وتجنب الوقوع في

الخطأ. وأن الوعظ والارشاد كلاهما وسيلة من وسائل التربية، وعامل من عوامل التعلم، استخدمه القرآن الكريم، وأسلوب الوعظ قامت عليها الرسالات السماوية، ونهضت دعوات الاصلاح الفردي والاجتماعي. كما يعد أسلوب التربية بالتأمل وسيلة من وسائل التربية. وأسلوب ضرب الأمثال هو أيضا أسلوب تربوي استعمله القرآن الكريم لينير العقل ويدعو إلى التدبر والتفكر والتأمل من أجل تثبيت اليقين والايمان في القلوب.

أهم نتائج الدراسة:

- إثبات أن أي دراسة مرتبطة بالتربية والأخلاق لا بد أن تعتمد اعتماداً مباشراً بالقرآن الكريم عموما، فمنه يتم استقاء مضامينها ومناقشتها.
- إمكانية تطبيق مضامين سورة لقمان في الجانب الأخلاقي وفق منظومة من الركائز والضوابط والمبادئ الشرعية مع فئة الطلاب في المدارس؛ لمعرفة مدى تأثير ذلك عليهم.

التوصيات والمقترحات:

- ضرورة تشجيع البحوث التربوية التي تتناول سور وآيات القرآن الكريم بالبحث والتحليل والعمل على نشرها ليعم نفعها.
- أن تستكمل الدراسة بصورة أوفى من خلال رسائل الدراسات العليا، من الماجستير والدكتوراه.

هوامش البحث:

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن، **مقدمة ابن خلدون**، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٤١٣هـ، ص. ٣٥.

(٢) أبو حوسة، موسى، **قراءة في التربية الاجتماعية الإسلامية**، المجلة الثقافية، العدد (٢٥) (٩٧).

(٣) النحلاوي، عبد الرحمن، **أصول التربية الإسلامية**، ط.٢٥، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٧، ص. ١١٩.

(٤) عطية، عماد محمد، **التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها**، الرياض، مكتبة الراشد، ١٤٢٥هـ، ص.٥٢.

(٥) الهاشمي، عبد الحميد، **الرسول العربي المربي، إنما بعثت معلماً**، ط.٢، مصر، دار الهدى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص. ٣٥٨. بتصرف

(٦) الزحيلي، وهبة، **التفسير الوسيط**، ط.١، دمشق، دار الفكر، ١٤٤٢، ج. ١، ص. ٣٢٠.

(٧) عرف ابن منظور العقوق هنا بأنه (الإساءة إليهم والتضييع لحقوقهم). انظر اللسان.

(٨) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط.٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ. مادة (ب ر ر)

(٩) ابن الأثير، مجد الدين، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، بيروت، المكتبة العلمية، ١٩٧٩، ت: الزاوى والطناحي، ج.١، ص. ١١٦.

(١٠) الفيروز ابادي، مجد الدين، **بصائر ذوي التمييز**، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، ١٩٩٦، ج.٢، ص.٢١١.

(١١) ابن فارس، أحمد، **مقاييس اللغة**، ت: عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩. ج، ٦، ص. ١١٥.

(١٢) ينظر: **مسلم بشرح النووي** (١٦/ ١١٢، ١١٣)، فقد أشار الإمام النووي إلى حقيقة الصلة عند شرحه لقول المصطفى ﷺ «الرّحم معلّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله».

(١٣) ابن فارس، أحمد، **مقاييس اللغة**، ج.٢، ص. ٤٩٨.

(١٤) ينظر: **مسلم بشرح النووي** (١٦/ ١١٣).

(١٥) ابن منظور، مرجع سابق، (٨/ ٤٨٥٠).

(١٦) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، ت: مُحَمَّد شمس الدين، ط.١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ ص. ٥٩٥.

(١٧) متفق عليه: **البخاري**، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٧/ ٩٦) برقم ٥٩٨٦ و**مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٤/ ١٩٨٢) برقم ٢٥٥٧.

(١٨) أخرجه **البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: (٧).

(١٩) متفق عليه: **البخاري**، كتاب بدء الوحي، برقم ٣، **ومسلم**، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم (١٦٠).

(٢٠) متفق عليه: **البخاري**، كتاب بدء الوحي، رقم: (٣)، **ومسلم**، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: (١٦٠).

(٢١) أخرجه أحمد في **المسند** (١٦/ ١٩١)، برقم ١٠٢٧٢، وحسنه محققو المسند، وقال الهيثمي في **مجمع الزوائد** (٨/ ١٥١): "رواه أحمد، ورجاله ثقات"، وحسنه الألباني في صحيح **الترغيب والترهيب** (٢/ ٦٧٤).

(٢٢) قطب: **في ظلال القرآن** (٥/٢٨٧٧).

(٢٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن**، ط.١، بيروت، مكتبة الرسالة، ٢٠٠٠. ص. ٦٤٨

(٢٤) أبو السعود، مُحَمَّد بن مُحَمَّد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج، ٧، ص. ٣١.

(٢٥) انظر: **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم** (٣/ ٧٧٩).

(٢٦) أخرجه **البخاري**، كتاب المزارعة، باب: إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم، وكان في ذلك صلاح لهم، رقم (٥٩٧٤)، **ومسلم**، كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال، رقم (٢٧٤٣).

(٢٧) ابن منظور، **لسان العرب**، (٩/ ٢٣٩، ٢٤١).

(٢٨) المرجع السابق، (٥/ ٢٣٢- ٢٣٣).

(٢٩) المرجع السابق، (٥/ ٢٣٢- ٢٣٣).

(٣٠) الجرجاني، علي بن مُحَمَّد، **التعريفات**، ط.١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣. (٤٢/٢).

(٣١) الغزالي، أبي حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد، **إحياء علوم الدين**، بيروت، جار المعرفة، د. ت. (٢/ ٣٠٦).

(٣٢) أخرجه **مسلم** (١/ ٦٩) في الإيمان: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، (٧٨- ٧٩)، **وأبو داود** (١/ ٣٦٦) في الصلاة: باب الخطبة يوم العيد (١١٤٠).

(٣٣) المحاربي، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز**، ت: عبد السلام عبد الشافي، ط. ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ج. ١،ص٤٨٦.

(٣٤) أخرجه **البخاري**، كتاب الإكراه، باب: إذا استكرهت المرأة على الزنا فلا حد عليها، (٩/ ٢٢) برقم: (٦٥٥٢).

(٣٥) أخرجه **مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (١/ ٧٤) (٩٥).

(٣٦) بن حميد، صالح بن عبد الله، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، ط. ٤، جدة، دار الوسيلة، ٣/ ٥٣٩.

(٣٧) الشنقيطي، مُحَمَّد الأمين، **أضواء البيان**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥. (٧/ ٢٥٢).

(٣٨) انظر: (٣) النهاية (٥/ ١٨٤) .

(٣٩) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، (٨/ ٤٨٣١- ٤٨٣٤)

(٤٠) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ت: صفوان الداودي، ط١، بيروت ودمشق، دار القلم، والدار الشامية، ١٤١٢هـ (٥٢٢).

(٤١) الطبري، مُحَمَّد بن جرير، **جامع البيان** ت: أحمد مُحَمَّد شاكر، ط. ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م (٢/ ٦٢٧)

(٤٢) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق. (١٠٠/١). بتصرف

(٤٣) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ت شاكر (١٠/ ٥٣١)

(٤٤) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، مرجع سابق، (١٢٣/١).

(٤٥) القرضاوي، يوسف، **فقه الوسطية الإسلامية والتجديد**، ط.١، دار الشروق، ٢٠١٠م، ص. ٥٠.

(٤٦) ابن الأصير، مُحَمَّد ابن حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ت: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ، (٨/ ٤١٧).

(٤٧) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٦/ ٣٠٣).

(٤٨) خان، مُحَمَّد صديق، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ت: عبد الله الأنصاري، بيروت، المكتبة العصريَّة، ١٩٩٢م، (١٠/ ٢٨٨).

(٤٩) أخرجه **البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه (٤/ ١١٥) رقم (٣٢٣١)، **ومسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (٣/ ١٤٢٠) رقم (١١١).

(٥٠) الزحيلي، وهبة، **الوسطية مطلباً شرعياً وحضاريا**. ص. ٥.

(٥١) صحيح **مسلم** (١/ ٥١٣).

(٥٢) الشيباني، أحمد بن حنبل، **المسند**، ت: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، ط.١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١، (٤١/ ١٤٨).

(٥٣) باحارث، عدنان، **مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة**، ط. ١٠، جدة، دار المجمع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، (٦٧).

(٥٤) الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **تفسير مطابع أخبار اليوم**، ١٩٩٧م، (٤/ ٢٢١٠).

(٥٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، (٦/ ٢٩٥).

(٥٦) **الشعراوي**، مرجع سابق، (١٩/ ١١٥٩٣).

(٥٧) الشنقيطي، **أضواء البيان**، مرجع سابق، (٤٣٨/٢).

(٥٨) فرحان، إسحاق، **التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، ص٣١-٣٢.

(٥٩) بن حميد، **نضرة النعيم**، مرجع سابق، (٣/ ٨٤٦).

(٦٠) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مصر، دار الشروق (٥/٢٧٧٩).

(٦١) السايح، أحمد، **الأمثال العربية**، السعودية. مجلة الفيصل، ع ١٨ ص ٨٠.

(٦٢) الشوادفي، مُحَمَّد بن صلاح، **التبيان في أمثال القرآن**، بيروت، دار الكتب العلمية (١٥).

(٦٣) الشنقيطي، **أضواء البيان**، مرجع سابق، (٦/ ١٧٩).

(٦٤) **الشعراوي**، مرجع سابق، (١٩/ ١١٥٩١).

المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: الزاوى والطناحي. بيروت، المكتبة العلمية، ١٩٧٩،
٢. ابن الاصير، مُحَمَّد ابن حيان، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.
٣. ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٤١٣هـ.
٤. ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩.
٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ت: مُحَمَّد شمس الدين، ط.١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.
٦. ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، ط.٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ.
٧. أبو السعود، مُحَمَّد بن مُحَمَّد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٨. أبو حوسة، موسى، قراءة في التربية الاجتماعية الإسلامية، المجلة الثقافية، العدد (٢٥).
٩. باحارث، عدنان، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، ط. ١٠، جدة، دار المجمع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
١٠. بن حميد، صالح بن عبد الله، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ط. ٤، جدة، دار الوسيلة.
١١. الجرجاني، علي بن مُحَمَّد، التعريفات، ط.١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.

١٢. خان، مُحَمَّد صديق، فتح البيان في مقاصد القرآن، ت: عبد الله الأنصاري، بيروت، المكتبة العصريَّة، ١٩٩٢م.
١٣. الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان الداودي، ط١، بيروت ودمشق، دار القلم، والدار الشامية، ١٤١٢هـ
١٤. الزحيلي، وهبة، التفسير الوسيط، ط.١، دمشق، دار الفكر، ١٤٤٢هـ.
١٥. الزحيلي، وهبة، الوسطية مطلباً شرعياً وحضاريا.
١٦. السايح، أحمد، الأمثال العربية، السعودية. مجلة الفيصل. عدد ١٨
١٧. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن، ط.١، بيروت، مكتبة الرسالة، ٢٠٠٠م.
١٨. الشعراوي، مُحَمَّد متولي، تفسير مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
١٩. الشنقيطي، مُحَمَّد الأمين، أضواء البيان، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م.
٢٠. الشوادفي، مُحَمَّد بن صلاح، التبيان في أمثال القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢١. الشيباني، أحمد بن حنبل، المسند، ت: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، ط.١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.
٢٢. الطبري، مُحَمَّد بن جرير، جامع البيان ت: أحمد مُحَمَّد شاكر، ط. ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
٢٣. عطية، عماد مُحَمَّد، التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، الرياض، مكتبة الراشد، ١٤٢٥هـ.
٢٤. الغزالي، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد، إحياء علوم الدين، بيروت، جار المعرفة، د. ت.
٢٥. فرحان، إسحاق، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة.
٢٦. الفيروز ابادي، مجد الدين، بصائر ذوي التمييز، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، ١٩٩٦م.
٢٧. القرضاوي، يوسف، فقه الوسطية الإسلامية والتجديد، ط.١، دار الشروق، ٢٠١٠م.
٢٨. قطب، سيد، في ظلال القرآن، مصر، دار الشروق.
٢٩. المحاربي، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ط. ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.
٣٠. النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، ط.٢٥، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٧م.
٣١. الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي المربي، إنما بعثت معلماً، ط.٢، مصر، دار الهدى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.